جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية
Naif Arab University For Security Sciences

تخطيط البحوث الميدانية
حول مشكلات الشباب المعاصر

الدكتور عبدالقادر الزغل

الرياض

1408 هـ - 1988 م

تخطيط البحوث الميدانية
حول مشكلات الشباب المعاصر

الدكتور عبدالقادر الزغل

ذكرت في بحثي السابق ثلاثة اقتراحات يمكن اعتبارها كخطوة أولى لمشاركة الباحثين الاجتماعيين العرب في تركيز الاسس النظرية التي توجه البحوث الميدانية لان لا تكون بحوثنا موجهة بصورة غير واعية أي مقتبسة عن نظريات نجهلها وأكرر هنا تلك الاقتراحات.

أولاً: تجاوز الاطار الضيق للبحوث الاجتماعية داخل كل قطر عربي ومتابعة ادق للبحوث التي اقيمت في البلدان العربية

ثانياً: توسيع مراكز اهتمام الباحثين العرب لا لتشمل التجارب الحديثة فقط بل كذلك التقاليد والقيم المشتركة للعالم العربي الاسلامي.

ثالثاً: الاطلاع بصفة جدية على النظريات والمناهج الحديثة لنفقدها وادراك البحوث الميدانية التي يتطلبها المجتمع العربي.

وأود أن أركز هنا على النطقة الثالثة وأخذ كمثال موضوع بحث هام يمكن تسميته بمشاكل الشباب العربي المعاصر

واعتقادي ان الخطوة المهمة لتخطيط بحث ميداني حول هذا الموضوع الهام هي مراجعة ونقد وتقويم النظريات الحديثة حول ظاهرة الشباب.

الملاحظة الأولى هي أن هنالك نوعاً من الخطاب السائد في الصحف والمجلات حول الشباب ومشاكله ووظيفة هذا الخطاب أو الاتجاه الايديولوجي غير الواعي فيه طمس الابعاد التاريخية والاجتماعية لمشاكل الشباب في عصرنا الحاضر ولنأخذ عينة من مقال حول مشاكل الشباب في مجلة لبنانية مختصة بالعلوم الاجتماعية.

يقول الكاتب ما معناه لان المقال مكتوب بالفرنسية:

الشباب أو المراهقة من حالة طبيعية من ١٦ سنة الى عشرين سنة من ذكور واناث يتحسس فيها الشاب الى شخصيته وهي مرحلة عدم استقرار يكون فيها الشاب ميالا الى النقد وحتى العنف، وفي الوقت نفسه الى حب قيم الكرامة والنزاهة والشجاعة، فالشاب اذاً في مرحلة طبيعية لابد ان يمر فيها كل شخص وهذه المرحلة تضع غالبا مشاكل عديدة للكهول ولكل المسئولين على الشباب.

اخترت لكم هذه العينة من الخطاب العادي لنقده قبل الدخول في نقاش النظريات الحديثة حول الشباب

لو كان لي الوقت الكافي لراجعت هذا الخطاب كلمة بكلمة ولكن نكتفي بتقديم المنطق غير الواعي الذي قاد تفكير كاتب هذا المقال وهذا المنطق هو ان الشباب يضع مشاكل عديدة للأولياء والمربين وكأن الموضوع يخص قبل كل شيء الأولياء والمربين واعتقد انه من اللازم التفريق بين ما يسمى بمشكلة الشباب أي مجموعة الاسئلة المطروحة على المسئولين ومشاكل الشباب اي الصعوبات التي تعترض حياة الشباب، اذا اردنا ان نقوم ببحث ميداني حول الشباب فمن الضروري ان نهتم بمشاكل الشباب لنتعرف على ما يسمى بمشكلة الشباب المعاصر

ثم يجب الانتباه الى نقطة ثانية حول نظرية اجتماعية غير واعية يقول الكاتب ان الشباب والمراهقة هي حالة طبيعية يمر بها كل شخص ذكر او انثى ويحددها بمرحلة ما بين ١٦ وعشرين سنة، وهذا غير صحيح لأن ما يسمى بازمة المراهقة لا توجد في كل المجتمعات وكلنا يعرف مثلا ان في المجتمع الريفي العربي التقليدي حيث يتم الزواج في سن مبكر لا توجد مشكلة اندماج اجتماعي لا يتعرض الشخص لما يسمى

بازمة المراهقة وقد اثبتت البحوث العلمية هذه الحقيقة الشباب قبل كل شيء مرحلة بيولوجية ولكن لكل مجتمع حاجياته لاعطاء مميزات خاصة لهذه المرحلة البيولوجية لنأخذ مثلا بحالة الشيخوخة التي هي ايضا حالة بيولوجية من سافر منا الى اوروبا الى امريكا قد اطلع على وجود دراسة اجتماعية لما وقع تسميته بالسن الثالث اي الشيوخ، ان المجتمع الغربي المصنع انجب ازمة جديدة لمرحلة بيولوجية معينة هي مرحلة الشيخوخة ولا يوجد في الوطن العربي الى حد الآن-ظاهرة تدل على أزمة اجتماعية خاصة بمرحلة الشيخوخة إذ أن العائلة العربية لا زالت الى حد الآن تحترم شيوخها رجالا ونساء بخلاف ما يوجد في الغرب حيث ان الكهل لا يجد الا مؤسسات بيروقراطية تهتم برعايته في نوع من السجون المفتوحة.

الشباب كالشيخوخة هي مرحلة بيولوجية ولكن ظاهرة الشباب او المراهقة هي نتيجة علاقات اجتماعية وهذا ما وقع الاتفاق عليه في البحوث المنشورة في منظمة اليونسكو ولكن يجب علينا ايضا ان لا نأخذ هذه النظريات بدون نقد يقول باحث ايطالي وخبير في منظمة اليونسكو ان الشباب كظاهرة

اجتماعية لم توجد قبل مرحلة التصنيع يعني بذلك ان الشباب هو نتيجة عملية التصنيع ويدعم هذه النظرية بالملاحظات التالية :

في المجتمعات غير المصنعة لاتوجد فترة واضحة المعالم بين الطفولة والرشد فالطفل كان تحت مسئولية والديه ولا يذهب الى المدرسة الاَّ لمدة صغيرة يدخل بعدها الى نطاق الانتاج الاقتصادي وفي هذه الحالة لا نتصور ما يمكن تسميته بصراع الاجيال، والدليل على ذلك انه لا توجد في المجتمعات غير المصنعة مؤسسات ثقافية خاصة بالشباب اما بعد التصنيع فان مدة التعليم تدوم عدة سنوات ويكون للشباب نوع من الاستقلالية، تمكنه من استعمال غالب وقته وسط شبان نفس السن وهذا ما يؤدي الى ثقافة وسلوك خاصة بالشباب.

هذه النظرية تمكننا من فهم ظاهرة الشباب والمراهقة بصورة أعمق من موقف كاتب المقال الذي سبق ذكره، ولكنها نظرية كاتب يرتكز أساساً على التجربة التاريخية للمجتمع الغربي. ولا يمكن تعميمها على جميع المجتمعات.

هناك مثلا مجتمعات قبلية في افريقيا السوداء ليس لها مدارس ولا مصانع ولكن هياكلها الاجتماعية مركزة على

تقسيم الأجيال فعند البلوغ يجمع الفتيان والفتيات بيت واحد ليعيشوا بعيدين عن عائلاتهم فتتكون لديهم ثقافة خاصة بالشباب كما توجد الان في المجتمعات المصنفة مؤسسات وثقافية وسلوك خاص بالشباب.

ثم اذا راجعنا تاريخنا العربي الاسلامي نجد ظاهرة ما يسمى العتوة في بغداد والقاهرة عندما كانت هذه المدن عواصم عالمية وظاهرة العتوة كانت لها مؤسساتها وثقافتها وسلوكها الخاص بالشباب فقط.

الحقيقة ان ربط الشباب بظاهرة، التصنيع لا تنطبق الا على المجتمع الاوروبي ولا يمكن لها ان تقودنا الى تحديد مفهوم الشباب بصفة علمية يمكن استعمالهافي كل المجتمعات.

ولهذا يجب علينا ان نجد صيغة لمفهوم الشباب تجمع بين جميع الحالات واذا اعتمدنا على تجربة أوروبا المصنعة وتجربة بعض القبائل الافريقية وتجربة العتوة في الوطن العربي نجد ان ما يوحد بين هذه التجارب وهو وجود مؤسسة او مؤسسات غير عائلية تحتض الشخص بين مرحلة الطفولة غير المسئولة والتي تحتاج الى حماية الأبوين ومرحلة الرشد التي يكون فيها الشخص مستقلا ومسئولا في الوقت نفسه ولو كان هذا الاستعمال وهذه المسئولية محددة نوعا ما، فالشباب هي مرحلة

مابعد الطفولة يقضي فيها الشخص غالب أوقاته في مؤسسات وهياكل غير عالية ومختصة نوعاً ما بما هم في سن الشباب قبل الاندماج في المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية الخاصة بالكهول.

بدون هذه المؤسسات الخاصة بالشباب كالمدارس الثانوية والكليات والمؤسسات الثقافية والرياضية والتي تجعل الشخص يشعر انه غادر عهد الطفولة ولكنه لم يندمج في الهياكل الاقتصادية والاجتماعية الخاصة بالكهول لذا لا يمكن أن توجد ظاهرة اجتماعية تسمى الشباب.

إني على علم بأن هذا التحديد للشباب سيلاقي معارضة وسيقول البعض ان الشباب هي حالة نفسية يمكن ان يشعر بها الشخص المتزوج والعامل والمسئول في نفس الوقت ولكن الجواب على هذا سهل لان الشعور الفردي بالانتماء الى الشباب لا يمكن له الظهور الا اذا كان في المجتمع مجموعة من الشباب يكون سلوكها مخالفاً نوعاً ما من سلوك الكهول وهذا السلوك المخالف للكهول لا يعرض نسبة الا اذا وجدت مؤسسات غير عائلية مختصة بالشباب.

وبعد هذا التحديد لمفهوم الشباب علينا ان نركز بحوثنا الاجتماعية حول الشباب على فهم سير المؤسسات والهياكل

المختصة بالشباب وكيفية ربط هذه المؤسسات بالمؤسسة الاساسية لكل مجتمع اي العائلة وبالمؤسسات التي تسير المجتمع اي المؤسسات الاقتصادية والثقافية والسياسية

وأخيراً أقتراح ان تكون البحوث الاجتماعية حول مشاكل الشباب العربي المعاصر مركزة على فهم العلاقات بين المؤسسات الاجتماعية التالية:

١ ـ العائلة

٢ ـ المدرسة.

٣ ـ المؤسسات الترفيهية والثقافية الخاصة بالشباب.

٤ ـ المؤسسات الاقتصادية.

٥ ـ المؤسسات السياسية.

ان ما يسمى بمشاكل الشباب هو ناتج عن وجود نوع من القطيعة بين هذه المؤسسات الخمس.

فالبحث الميداني ينبغي أن يتجه الى معرفة نوعية العلاقة بين كل هذه المؤسسات لفهم مشاكل الشباب وسلوكهم.